

بين يدي هذا الباب للمحقق

بنى الطلاق ، كما بنى الزواج ، في المجتمعات الأولى على عادات الفطرة :
الذكر يطلب الأنثى ولا تطلبه .

والرجل يخطب المرأة ولا تخطبه .

وعلى هذه العادة الفطرية درج نظام الطلاق مع الزواج باختيار الرجل وحده ، وجرى القانون على ما جرى به العرف بعد قيام القوانين بعد المرحلة البدائية من مراحل الاجتماع ^(١) .

وشريعة القرآن الكريم في مسألة الطلاق شريعة دنيا ودين تنظر إلى طبائع الرجال والنساء . .

فالطلاق في الإسلام قسوة مكروهة ؛ لأنه أبغض الحلال إلى الله كما قال النبي ﷺ .

ولم تخل آية عرضت للطلاق من توكيد الأمر بالمعروف والنهي عن الإساءة والإيذاء والحث على مغالبة الشح والتقتير .

وما من وسيلة تنجح في اجتناب الفرقة بين الزوجين إلا ونصح بها القرآن الكريم لكل منهما فيما يطلب من الرجل أو يطلب من المرأة ، وترجى منه الفائدة في الواقع .

فإذا نفدت حيلة المراجعة ، وانتظار المهلة ، وبطلت مساعي الصلح بين الأهل والأقارب وأسفرت تجربة الطلقة الراجعة مرة بعد مرة عن قلة اكتراث للجفاء وإصرار على الفراق فليس في الزواج إذن بقية تحمي من الطلاق .

(١) عباس محمود العقاد في كتابه « المرأة في القرآن » .

ولعل الطلاق يومئذ أرحم بالمرأة من علاقة منغصة تربطها برجل يجفوها ، ويخل عليها بقوتها ويتمنى لها الموت ليباعد عنها ، إذ كانت عشرتها غلا في عنقه لا يفصمه غير الموت .

ولا إيذاء في هذا الطلاق للزوج ولا للزوجة ولا للمجتمع إذ لابقاء إذن لشيء يصح أن يسمى بالزواج .
وإليك ما قدمه ابن عبد ربه :

الرشيد والأصمعي

ملح الأصمعي وغرائبه :

وأنت أيضا طالق إن أجاز زوجك !!

● محمد بن الغار قال : حدثني عبد الرحمن بن محمد ابن أخي الأصمعي قال : سمعت عمي يقول : توصلت بالملح ، وأدركت بالغريب .

● وقال عمي للرشيد في بعض حديثه :

بلغني يا أمير المؤمنين أن رجلا من العرب طلق في يوم خمس نسوة ! .

قال : إنما يجوز ملك الرجل على أربع نسوة ، فكيف طلق خمسا ؟ .

قال : كان لرجل أربع نسوة ، فدخل عليهن يوما ، فوجدهن متلاحيات متنازعات ، - وكان شنطيرا (١) - فقال : إلى متى هذا التنازع ؟ .

ما إخال هذا الأمر إلا من قبلك - يقول ذلك لامرأة منهن - اذهبي فأنت طالق ، فقالت له صاحبتها :

عجلت عليها بالطلاق ، ولو أدبتها بغير ذلك لكان حقيقا ! .

فقال لها : وأنت أيضا طالق .

(١) الشنطير السوء الخلق الفحاش .

فقلت له الثالثة :

قبحك الله ! فو الله لقد كانتا إليك محستين ، وعليك مفضلتين !

فقال : وأنت أيتها المعددة أياديها طالق أيضا ! .

فقلت له الرابعة : وكانت هلالية وفيها أناة شديدة :

ضاق صدرك عن أن تؤدب نساءك إلا بالطلاق ! .

فقال لها : وأنت طالق أيضا ! .

وكان ذلك بمسمع جارة له ، فأشرفت عليه وقد سمعت كلامه ،

فقلت :

والله ماشهدت العرب عليك وعلى قومك بالضعف إلا لما بلوه منكم

ووجدوه فيكم أبيت إلا طلاق نسائك في ساعة واحدة ! .

قال : وأنت أيضا أيتها المؤنبة المتكلفة طالق ، إن أجاز زوجك ، فأجابه

من داخل بيته : قد أجزت ! قد أجزت ! .

★ ★ ★ .

المغيرة وزوجته فارعة

كُنْتُ فَبْنْتُ !!

● ودخل المغيرة بن شعبة على زوجته فارعة الثقفية وهي تتخلل حين انفلت من صلاة الغداة ، فقال لها : لئن كنت تتخللين من طعامك اليوم إنك لجشعة ، وإن كنت تتخللين من طعام البارحة إنك لشبعة ، كنت فبنت ! .
فقال : والله ما اغتبطنا ^(١) إذ كنا ، ولا أسفنا إذ بنا ^(٢) ، وما هو لشيء مما ذكرت ، ولكنى استكت فتخللت لسواك ، فخرج المغيرة نادما على ما كان منه ، فلقبه يوسف بن أوى عقيل فقال له :
إني نزلت الآن عن سيدة نساء ثقيف ، فتزوجها ، فإنها ستنجب فتزوجها فولدت له الحجاج .

الحسن وعائشة بنت طلحة

رد الجميل :

● وقال الحسن بن علي بن حسين لامرأته عائشة بنت طلحة : أمرك بيدك ! فقالت : قد كان عشرين سنة بيدك ، فأحسنيت حفظه ، فلم أضيعه إذ صار بيدى ساعة واحدة ، وقد صرفته إليك ! فأعجبه ذلك منها وأمسكها .

لرجل في طلاق امرأته

إلى غير رجعة ! :

● وقال أبو عبيدة : طلق رجل امرأته وقال :

لقد طلقت أخت بنى غلاب طلاقا ما أظن له ارتداداً

(١) ما اغتبطنا : ما سررنا بزواجنا منك .

(٢) بنا : ولا حزنا إذ كان الفراق ! .

ولم أك كالمعدل أو أويس إذا ما طلقا ندما فعادا (١)

فارقها قبل أن تفرق شمله :

● ونكح رجل امرأة من عدى فلما ابتدأها رأت ربع داره أحسن ربع ،
وشمل عياله أجمل شمل ، فقالت :

أما والله لئن بقيت لهم ، لأشتتن أمرهم ، وقالت :

في ذلك :

أرى ناراً سأجعلها إرينا وأترك أهلها شتى عزيزنا

فلما انتهى ذلك إلى زوجها طلقها وقال في ذلك :

ألا قالت هدى بنى عدى أرى ناراً سأجعلها إرينا (٢)
فبينى قبل أن تلحى عصانا ويصبح أهلنا شتى عزيزنا

قمة الكراهية !

● وقيل لابن عباس :

ما تقول في رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء ؟ .

قال : يكفيه من ذلك عدد كواكب الجوزاء ! (٣) .

لا أمل فيه ! .

● وقيل لأعرابي : هل لك في النكاح ؟ .

قال : لو قدرت أن أطلق نفسي لطلقتها !! .

(١) قال أبو عبيدة : طلاق المعدل وأويس يضرب به المثل . (٢) نيراناً .

(٣) الجوزاء برج في السماء .

هكذا تكون الإخوان !

● وعن الزهرى قال :

قال أبو الدرداء لامرأته : إذا رأيتنى غضبت فترضينى ، وإن رأيتك
غضبت ترضيتك ، وإلا لم نصطحب ! .
قال الزهرى : وهكذا تكون الإخوان ! .

بانث فلم يأل لها قلبى !!

● قال الأصمعى :

كنت أختلف إلى أعرابى أقتبس منه الغريب ، فكنت إذا استأذنت عليه
يقول : يا أمامة ائذنى له . فتقول : ادخل .

فاستأذنت عليه مرارا فلم أسمعه يذكر أمامة ، فقلت : يرحمك الله ، ما
أسمعك تذكر أمامة ، قال : فوجم وجمة ، فندمت على ماكان منى ، ثم أنشأ
يقول :

ظننت أمامة بالطلاق	ونجوت من غل الوثاق
بانث فلم يأل لها	قلبى ، ولم تبك المآق
لو لم يرح بطلاقها	لأرحت نفسى بالإباق (١)
ودواء مالا تشتهى	له النفس تعجيل الفراق
والعيش ليس يطيب من	إلفين من غير اتفاق

ألد من ليلة العرس !

● وعن الشيبانى : طلق أبو موسى امرأته وقال فيها :

تجهزى للطلاق وارتحلى فذا دواء المجانب الشرس

(١) الإباق : الهرب .

ما أنت بالحنة الولود ولا
لليلى حين بنت طالقة
بت لديها بشر منزلة
تلك على الخسف لانظير لها
عندك نفع يُرجى للتمس
ألد عندى من ليلة العرس
لا أنا فى لذة ولا أنس
وإننى ما يسوغ لى نفسى^(١)

ابن زَبَّان والزُّبَيْر :

تلك راضية بموضعها

● أقبل منظور بن زبان بن سيار الفزارى إلى الزبير فقال : إنما زوجناك ولم
نزوج عبد الله ! .

قال : ماله ؟ قال : إنها تشكوه . قال : يا عبد الله طلقها ! .
قال عبد الله : هى طالق ! قال ابن منظور : أنا ابن قهرم .
قال الزبير : أنا ابن صفية . أتريد أن يطلق المنذر أختها ؟ .
قال : لا . تلك راضية بموضعها .

خديجة بين محمد وإبراهيم :

محمد هو الدنيا لا يدوم نعيمها !

● وتزوج محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان خديجة بنت
عروة بن الزبير ، فذكر له جمالها - وكان يقال له : المذهب من حسنه وكان
رجلا مطلقا - فقالت : محمد هو الدنيا لا يدوم نعيمها ! فلما طلقها خطبها
إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي ؛ فكتب إليها :

(١) الخسف : الدل .

أعيزك بالرحمن من عيش شقوة وأن تطمعي يوماً إلى غير مطمع
إذا ما ابن مضعون تحدر وسقه عليك فبؤى بعد ذلك أو دعى (١)

الحجاج وزواجه بابنة جعفر :

وصلتك رَحِمٌ

● وعن العتبي عن أبيه قال : أمهر الحجاج ابنة عبد الله بن جعفر تسعين ألف دينار ، فبلغ ذلك خالد بن يزيد بن معاوية ، فأمهل عبد الملك ، حتى إذا أطبق الليل ، دق عليه الباب ؛ فأذن له عبد الملك ، ودخل عليه ، فقال له : ما هذا الطروق أبا يزيد ؟ قال : أمر والله لم ينتظر له الصبح ، هل علمت أن أحداً كان بينه وبين من عادى ما كان بين آل أبي سفيان وآل الزبير بن العوام ؟ فإني تزوجت إليهم ، فما في الأرض قبيلة من قریش أحبُّ إلى منهم ، فكيف تركت الحجاج وهو سهم من سهامك يتزوج إلى بني هاشم ، وقد علمت ما يقال فيهم في آخر الزمان ؟ قال : وصلتك رَحِمٌ .

● وكتب إلى الحجاج يأمره بطلاقها ، وألا يراجعه في ذلك ، فطلقها ، فاتاه الناس يعزونه ، وفيهم عمرو بن عتبة ، فجعل الحجاج يقع بخالد ويتنقصه ويقول : إنه صير الأمر إلى من هو أولى به منه ، وإنه لم يكن لذلك أهلاً ! .

فقال له عمرو بن عتبة : إن خالداً أدرك من قبله ، وأتعب من بعده وعلم علماً فسلم الأمر إلى أهله ، ولو طلب بقديم لم يغلب عليه ، أو بجديد لم يسبق إليه .

فلما سمعه الحجاج استحي ، فقال : يا ابن عتبة ، إننا نسترضيكم بأن نعتب عليكم ونستعطفكم بأن ننال منكم ؛ وقد غلبتم على الحلم فوثقنا لكم به ، وعلمنا أنكم تحبون أن تحلموا ، فتعرضنا للذين تحبون .

(١) بؤى : عودى .

من طلق امرأته ثم تبعها نفسه

بين العريان وبنت عمران :

إن الغزال الذى ضيعت مشغول

● الهيثم بن عدى قال : كانت تحت العريان بن الأسود بنت عم له ، فطلقها فتبعها نفسه ؛ فكتب إليها يُعرض لها بالرجوع فكتبت إليه :
إن كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلاً إن الغزال الذى ضيعت مشغول
فكتب إليها :

من كان ذا شُغلٍ فالله يكلّؤه وقد لهونا به والحبل موصول
وقد قضينا من استطرافه طرفاً وفى الليالى وفى أيامها طول !!

الوليد وزوجته سعدى :

ماكنت لتعذب عينين نظرنا إلى سعدى !

● وطلق الوليد بن يزيد امرأته سعدى ، فلما تزوجت اشتد ذلك عليه ، وندم على ما كان منه ؛ فدخل عليه أشعب ، فقال له : أبلغ سعدى عنى رسالة ، ولك منى خمسة آلاف درهم ! فقال : عجلها ، فأمر له بها ، فلما قبضها قال : هات رسالتك .

فأنشده :

أسعدى ما إليك لنا سبيل ولا حتى القيامة من تلاقٍ ؟!
بلى ، ولعل دهرأ أن يوائى بموت من حليلك أو فراق !!

فأتاها فاستأذن ، فدخل عليها ، فقالت له : ما بدالك في زيارتنا
يا أشعب ؟ .

فقال : ياسيدتي ، أرسلني إليك الوليد برسالة . وأنشدها الشعر ، فقالت
لجواربها : خذن هذا الخبيث ! .

فقال : ياسيدتي ، إنه جعل لي خمسة آلاف درهم ! .

قالت : والله لأعاقبك أو لتبلغن إليه ما أقول لك .

قال : سيدتي اجعلي لي شيئا .

قالت : لك بساطي هذا .

قال : قومي عنه ! فقامت عنه ، وألقاه على ظهره ، وقال : هاتي
رسالتك ، فقالت :
أنشده :

أتبكي على سعدى وأنت تركتها فقد ذهبت سعدى فمأنت صانع ؟
فلما بلغه وأنشده الشعر ، سقط في يده ، وأخذته كظمة ، ثم سرى
عنه .

فقال : اختر واحدة من ثلاث :

إما أن نقتلك ، وإما أن نطرحك من هذا القصر ، وإما أن نلقيك إلى
هذه السباع ! فتحير أشعب وأطرق حيناً ؛ ثم رفع رأسه فقال : ياسيدتي ،
ما كنت لتعذب عينيّن نظرتا إلى سعدى ! فتبسم وخلي سبيله .

ابن أبي بكر وامراته

في غير شيء تطلق !

● ومن طلق امرأته فتبعها نفسه ، عبد الرحمن بن أبي بكر : أمره أبوه
بطلاقها ، ثم دخل عليه فسمعه يتمثل :

فلم أر مثلى طلق اليوم مثلها ولم أر مثلها في غير شيء تطلق
فأمره بمراجعتها .

الفرزدق ونوار :

وكانت جنتي فخرجت منها !

● ومن طلق امرأته فتبعها نفسه ، الفرزدق الشاعر : طلق النوار ، ثم
ندم في طلاقها وقال :

ندمت ندامة الكسعي لما	غدت منى مطلقة نوار
وكانت جنتي فخرجت منها	كآدم حين أخرجه الضرار
فأصبحت الغداة ألوم نفسي	بأمر ليس لي فيه خيار

من أخبار النوار :

● وكانت النوار بنت عبد الله قد خطبها رجل رضىته ، وكان وليها غائباً ،
وكان الفرزدق وليها إلا أنه كان أبعد من الغائب ؛ فجعلت أمرها إلى الفرزدق ،
وأشهدت له بالتفويض إليه ، فلما توثق منها بالشهود ، أشهدهم أنه قد زوجها من
نفسه ! فأبت منه ، ونافرته إلى عبد الله بن الزبير ، فنزل الفرزدق على حمزة بن
عبد الله [ابن الزبير] ، ونزلت النوار على زوجة عبد الله بن الزبير ، وهى بنت
منظور بن زيان ، فكان كل ما أصلح حمزة من شأن الفرزدق نهراً أفسدته المرأة
ليلاً ، حتى غلبت المرأة ، وقضى ابن الزبير على الفرزدق ، فقال :

أما البنون فلم تقبل شفاعتهم وشُفَعَتْ بنت منظور بن زيانا
ليس الشفيع الذى يأتيك مؤتزرأ مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

● وقال الفرزدق في مجلس ابن الزبير :

وما خاصم الأقوام من ذى خصومة كورهاء مدنؤ إليها خليلها (١)
فدونكها يابن الزبير فإنها ملعنة يوهى الحجارة قيلها (٢)

(٢) قوفا يفلق الحجر ويضعفه .

(١) الورهاء : الخرقاء .

فقال ابن الزبير :

إن هذا شاعر ، وسيهجوني ، فإن شئت ضربت عنقه ، وإن كرهت ذلك ؛ فاختارى نكاحه ، وقَرَى . فقرت واختارت نكاحه ، ومكثت عنده زمانا ، ثم طلقها ، وندم في طلاقها .

★ ★ ★

إن في نفسى من النوار شيئا !

● وعن الأصمعى عن المعتمر بن سليمان عن أبى مخروم عن راوية الفرزدق قال : قال لى الفرزدق يوما :

امض بنا إلى حلقة الحسن فإنى أريد أن أطلق النوار ! فقلت له : إني أخاف أن تتبعها نفسك ، ويشهد عليك الحسن وأصحابه . قال : انهض بنا . فجبنا حتى وقفنا على الحسن ، فقال الفرزدق : كيف أصبحت أبا سعيد ؟ قال : بخير ، كيف أصبحت يا أبا فراس ؟ فقال : تعلمن أنى طلقت النوار ثلاثا ! قال الحسن وأصحابه : قد سمعنا ، فانطلقنا ، فقال لى الفرزدق : ياهذا ، إن في نفس من النوار شيئا ! فقلت : حذرتك ! فقال :

ندمت ندامة الكسعى لما	غدت منى مطلقة نوار
وكانت جنتى فخرجت منها	كآدم حين أخرجه الضرارُ
ولو أنى ملكت بها يمينى	لكان على للقدر الخيار

قيس بن ذريح وطلاق امرأته :

فأصبحت الغداة ألوم نفسى !

● ومن طلق امرأته وتبعها نفسه ، قيس بن الذريح ، وكان أبوه أمر بطلاقها فطلقها وندم ، فقال فى ذلك :

فوا كبدي على تسريح لبنى فكان فراق لبنى كالخداع
تكنفني الوشاة فأزعجوني فياً للناس اللواشى المطاع
فأصبحت الغداة ألوم نفسي على أمر وليس بمستطاع
كمغبون يعرض على يديه تبين غبنه بعد البيع

أبعد صحبة خمسين سنة ؟!

● وطلق رجل امرأته فقالت : أبعد صحبة خمسين سنة ؟!

فقال : مالك عندنا ذنب غيره !! .

رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها

ابن أم الحكم بين رجل وامرأته :

● العتبي قال : جاء رجل بامرأة كأنها برج فضة ، إلى عبد الرحمن بن أم الحكم وهو على الكوفة ، فقال : إن امرأتى هذه شجتنى ! فقال لها : أنت فعلت به ؟ .

قالت : نعم ، غير متعمدة لذلك ؛ كنت أعالج طيباً ، فوقع الفهر من يدي على رأسه ، وليس عندي عقل ، ولا تقوى يدي على القصاص ! .

فقال عبد الرحمن للرجل : يا هذا علام تحبسها وقد فعلت بك ما أرى ؟ قال : أصدقتها أربعة آلاف درهم ، ولا تطيب نفسي بفراقها ! .

قال : فإن أعطيتها لك أتفارقها ؟ قال : نعم . قال : فهي لك . قال :

هي طالق إذا ! فقال عبد الرحمن : احبسى علينا نفسك . ثم أنشأ

يقول :

ياشيخ ويحك من دلاك بالغزل قد كنت ياشيخ عن هذا بمعتزل
رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها فاعمد لنفسك نحو الجلة الذُّل (١)

(١) الجلة : الأجلاء ، الذُّل المتواضعين . اسلك نفسك مع هؤلاء فلا شأن لك بالغزل .